العدد 10 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2025
No. 10 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

ردود أبي العلاء المعري النحوية في رسالة الغفران- دراسة تأصيلية

م. د صفاء علي صالح الجبوري
وزارة التربية ـــ المديرية العامة لتربية صلاح الدين ـــ قسم تربية الضلوعية
07700381700 - safas1975@gmail.com

الملخص

تُعد رسالة الغفران لأبي العلاء المعري موسوعة في القراءات الفلسفية والفكرية واللغوية والنحوية فنجدها تزخر بمعارف شتى، صالَ وجالَ المعري في مختلف الإتجاهات؛ فمن الدقّة والموضوعية أن نختار جانباً محدداً للبحث فيه. فبعد تتبع المسائل اللغوية التي ناقشها أبو العلاء في رسالته فوجدتها تندرج ضمن كل المستويات اللغوية: النحوية والصرفية والصوتية وشيء في المعجم والدلالة. وحاولتُ في هذه الدراسة أنْ اتخيّر جانباً مهماً من الجوانب التي تكلم بها أبو العلاء في رسالته ـــ رسالة الغفران ـــ في البحث والتحليل للتوصل إلى حقيقة مهمة كانت نتيجة لكل باحث تناول هذه الرسالة من زاوية معينة، فبعد قراءتها والإطلاع على محتواها تزاحمت في ذهني تساؤلات كثيرة ورغبةً في البحث والتقصي؛ رأيت أنَّ أبا العلاء المعري قد ناقش قضايا عدة وردَّ أموراً كثيرة وصحح مسائل ورجّح خيارات على غيرها، وهي طريقة التفكير الفلسفي اللامنطقي للمعري، فآثرت أن أختار ميدان النحو. فتوزعت الدراسة على مبحثين، المبحث الأول كان في إطار نظري يبحث في مضامين الرسالة، حول شخصية المعري وأسلوبه وهل كانت هناك دراسات سابقة ناقشت جوانب من رسالة الغفران؟ وأما الثاني فكان دراسات تطبيقية لبعض المسائل النحوية التي تطرق لها المعري خلال رحلته التخيلية، والوقوف عند كل رأي ناقشه المعري مع الشعراء.

الكلمات المفتاحية: ردود ، نحوية ، رسالة الغفران، أبو العلاء المعري

The Grammatical Responses of Abu al-ʿAlaʾ al-Maʿarri in *Risālat al-Ghufrān*: A Foundational (Philological) Study

Lecturer Dr. Safaa Ali Saleh Al-Jubouri
Ministry of Education – General Directorate of Education in Salah al-Din – Al-Duluiyah Education Department

Phone: +964 770 038 1700 Email: safas1975@gmail.com

Abstract

The Epistle of Forgiveness" by Al-Ma'arri stands as an encyclopedic work encompassing philosophical, intellectual, linguistic, and grammatical readings. It is rich with diverse knowledge, wherein Al-Ma'arri traverses multiple domains. For the sake of precision and academic objectivity, this study focuses on a specific linguistic aspect.Through a thorough examination of the linguistic issues addressed by Al-Ma'arri in his epistle, it becomes evident that they span across all levels of language: syntax, morphology, phonology, and elements of lexicon and semantics. In this study, I sought to highlight one significant

linguistic area discussed by Al-Ma'arri—namely, grammar—through analytical investigation aimed at revealing a core idea that recurs across scholarly works engaging with the text from various perspectives. Upon reading and reflecting on the epistle, numerous questions and research inclinations emerged. Al-Ma'arri critically engages with numerous issues, rejecting some views, correcting others, and favoring certain interpretations, showcasing his unique philosophical reasoning. As such, I chose grammar as the primary focus of the research. The study is divided into two main sections: the first presents a theoretical overview of the content of the epistle, Al-Ma'arri's intellectual persona, stylistic characteristics, and previous scholarly contributions related to the text. The second part offers applied analyses of specific grammatical issues discussed by Al-Ma'arri during his imaginative journey, with a focus on the grammatical debates he held with poets within the narrative.

Keywords: grammatical responses, syntax, Epistle of Forgiveness, Abu Al-Alaa Al-Ma'arri

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقدمة

في مستهل الحديث عن رسالة الغفران التي شغلت تفكير الكثير من النُقاد والأدباء، وحامت حولها الكثير من الدراسات وتلقفها الباحثون بشغف، ودُرِستْ جوانب عدّة منها وحيرت الكثير من الكتّاب عند البحث في مضامينها، فإنَّ الخوض في المسالك الوعرة التي يسلكها المعري (ت449ه) ـــ وكأنَّ له نصيبٌ من اسمه ـــ والبحث فيها والتقصي عـــن حقائق لَتأخُذكَ الدهشة والعجب مـــــن العلم الغزير واللغة التـــي قيل فيها: (ما أعرف أنَّ العرب نطقت بكلمة لم يعرفها المعري)، لذلك نجده أعلم الناس بالغريب وأعلم الناس بالنحو من أهله، وغير ذلك من العلوم الأخرى، فبحق كان فيلسوفاً قل من يدانيه.

لذلك تُعد هذه الرسالة موسوعة في القراءات الفلسفية والفكرية واللغوية والنحوية فنجدها تزخر بمعارف شتى، صالَ وجالَ المعري في مختلف الإتجاهات؛ فمن الدقّة والموضوعية أن نختار جانباً محدداً للبحث فيه. فبعد تتبع المسائل اللغوية التي ناقشها أبو العلاء في رسالته فوجدتها تندرج ضمن كل المستويات اللغوية: النحوية والصرفية والصوتية وشيء في المعجم والدلالة. وحاولتُ فـــي هذه الدراسة أنْ اتخيّر جانباً مهماً مـــن الجوانب التي تكلم بها أبو العلاء فـــي رسالته ـــ رسالة الغفران ـــ في البحث والتحليل للتوصل إلى حقيقة مهمة كانت نتيجة لكل باحث تناول هذه الرسالة من زاوية معينة، فبعد قراءتها والإطلاع على محتواها تزاحمت في ذهني تساؤلات كثيرة ورغبةً في البحث والتقصي؛ رأيت أنَّ أبا العلاء المعري قد ناقش قضايا عدة وردَّ أموراً كثيرة وصحح مسائل ورجّح خيارات على غيرها، وهي طريقة التفكير الفلسفي اللامنطقي للمعري، فآثرت أن أختار ميدان النحو. فتوزعت الدراسة على مبحثين، المبحث الأول كان في إطار نظري يبحث في مضامين الرسالة، حول شخصية المعري وأسلوبه وهل كانت هناك دراسات سابقة ناقشت جوانب من رسالة الغفران؟ وأما الثاني فكان دراسات تطبيقية لبعض

المسائل النحوية التي تطرق لها المعري خلال رحلته التخيلية، والوقوف عند كل رأي ناقشه المعري مع الشعراء.

المبحث الأول

1ــ نظرة عامة حول رسالة الغفران

إذا نظرنا إلى الإطار العام لرسالة الغفران نجد أنّها نص فلسفي يبحث في الحياةِ والوجودِ، ويصف ضروب الإبداع الفكري والأنساني. فهي نتاج فكري ونقدي لبعض المسائل التي كانت تدور في مخيلة أبي العلاء المعري، التي كان يطرحها على لسان شخصيات هو يعتقد بوجودها في عالم الغيبيات متخذاً من أسئلة أبن القارح (الزركلي ، 2002، صفحة 25/5) مدخلاً لطرح الآراء والردود الادبية والنقدية على الشعراء متخذاً الاسلوب القصصي والسردي، متسائلاً في بعض الأحيان ومتحيراً في أحيان أخرى.

ففي رحلة المعري الغيبية كانت له ردود على بعض التساؤلات بطريقة غريبة، وكانت له لقاءات مع بعض الشعراء والكتّاب والمفكرين والنحويين وغيرهم . فكانت هذه الرسالة رداً على رسالة بعثها إليه ابن القارح يشكو أمره إليه.

ففي إطار النظرة العامة للرسالة فإننا نستطيع تحديد إشكالية الرسالة على أنّها إشكالية مكانية وازنت بين عالمين: الحياة الدنيا (الدار العاجلة) وبين الحياة الآخرة (الدار الباقية).

2ــ شخصية المعري في رسالة الغفران

تتسم شخصية أبي العلاء المعري في رسالة الغفران بالعالم اللغوي والناقد الأدبي والاجتماعي لعصره؛ فكانت رسالته التي ردَّ بها على ابن القارح فرصة مثالية لإظهار ثقافته الواسعة ومخزونه اللغوي والشعري، ومظهر من مظاهر التعبير عن فلسفته حول الجنة والنار والحياة والموت ونظرته العامة للدين.

كان الاسلوب القصصي واضحاً جلياً في كتاباته، فعمد إلى الإفصاح عن فلسفته للحياة بطريقة سردية تناول فيها كل عناصر القصة من العرض القصصي (السرد)، فكان اهتمامه بهذا الجانب واضحاً من خلال طريقته لعرض الأحداث سواء من الداخل أو الخارج أو على لسان أحد شخوصها أو على لسان شاهد ليس له علاقة بأحداث القصة، ثم ينتقل إلى (الحبكة) التي من خلالها يقوم بربط الأحداث وترتيبها موضحاً العلل والأسباب التي يقوم بتنسيقها تنسيقاً منطقياً، وفي خضم هذه الأحداث يجعل أبطال قصته في مواقف حرجة وظروف صعبة من خلال ما يسمى بـ (العقدة الفنية)؛ فيبذل أبطال القصة جهوداً استثنائية لتخطي تلك المواقف.

وتظهر شدة (الصراع) وقوته في مجابهة الصراعات الداخلية والنزاعات الخارجية عند شخصيات القصة فيشتد الصراع بينه وبين أفكاره وأحاسيسه ومعتقداته، وكذلك يتطور النزاع بينه وبين محيطه الخارجي من ثقافات وعلاقات اجتماعية إلى أن نصل إلى نقطة حرجة عندما تتشابك العناصر وتتزاحم لتغير مسار القصة، وهنا ندخل في أزمة جديدة ينتقل فيها الصراع إلى إتجاه آخر تتطور فيه الأحداث إلى أن تصل ذروتها، ثمَّ تتجه إلى الحل والانفراج، ويتكشّف مصير الشخوص؛ فيجئ (الحل) وهي النتائج المنطقية لذلك الصراع سواء كان خيراً أو شراً.

يدور (الحوار) حول مناقشات ابن القارح مع الشعراء في الدار الآخرة عن الجنة والنعيم والنار والجحيم، وكذلك آراءه النقدية للشعراء حول بعض المسائل التي تُطرح في المجالس؛ فمن خلال هذه الطروحات نستطيع أن نصل إلى نقطة مهمة هي (عمق التفكير الفلسفي) الذي نتج عن الصراع النفسي الذي كان يعاني منه أبو العلاء المعري في حياته، وصراعه مع الحياة التي فشل في الانتصار عليها، أبتداءً من مرضهِ واصابتهِ بالجدري، ومن ثم العمى الذي أفقده طعم الحياة وألوانها الزاهية.

فمن خلال النظر الدقيق والتعمق في شخصية البطل (الرئيسة) للقصة؛ فنجد أنَّ أبا العلاء المعري أستخدم هذه الشخصية قناعاً يعبّر فيه عن أفكارهِ وآرائِهِ الفلسفية التي يحاول أن يجد لها إجابات منطقية.

3ــ اسلوب المعري في رسالة الغفران

اعتمد المعري أسلوباً جديداً لم يكن سائداً في زمانه، فقد أظهر براعة فائقة في تصوير الأحداث، ومن أهم الخصائص التي أعتمدها المعرّي في أسلوبه:

1- الجدل المنطقي
يظهر ذلك من خلال تساؤلاته والمحاججة في المسائل الفكرية التي يطرحها، والتي كانت تشغل بال معاصريه، لذلك كان يحاجج بطريقة منطقية مقنعة، ويلقي الحجة في ساحة الخصم.
2- الاستطراد
استطرد المعري كثيراً في رسالته، ويظهر ذلك في حوراته مع ابن القارح، فقسم منها مقصوداً والقسم الآخر عفوياً، وهذا نابع من عبقرية فذة وإطلاع واسع للغة.
3- الخيال
بُنيت أكثر لقاءاته في الخيال، حيث صوّر الحياةَ الآخرة وصوّر الجنة والنار، إذ قامت رحلته في عالم المجهول.
4- التصوير
وظّف المعري الأسلوب البلاغي في رسالته أيما توظيف، فاعتمد الصور البيانية والتشبيهات والكناية والتورية وكل الصيغ البلاغية في تصوير المشاهد ليعطيها قرباً من الواقع.
5- الرمزية
مال المعري في كتاباته في رسالة الغفران إلى الرمزية، فقد ذكر جنة الشعراء والأدباء أو حياة الخلود وغيرهما من المصطلحات التي ترمز وتوحي إلى أشياء أخرى.
6- استخدام الغريب والنادر من اللغة
استحضر المعري الكثير من الألفاظ، وأسرف في استعمال الغريب والنادر؛ لأنّه لم يوجّه كتاباته لعامة الناس؛ بل كان يخاطب العلماء، ومن جانب آخر كان يُظهر مقدرته اللغوية وتمكنه من اللغة والتصرف بمفرداتها.

7- السخرية والتهكم
هذه الخصيصة كانت واضحة في اسلوب أبي العلاء، فقد مزج الجد بالهزل في أغلب حواراته، وخصوصا طرحه بعض الأفكار المتعلقة بالدين والفكر والفلسفة.

4ــ الدراسات السابقة

تُعدُّ رسالة الغفران من أقدم النماذج القصصية، ومن أبرز الآثار الأدبية التي حفل بها الأدب العربي، فقد حظي المعري بأهتمام وعناية الباحثين، وتناولوا كتبه وآثاره بالبحث والدراسة، فحامت الدراسات حول أفكاره وأسلوبه وشخصيته وفلسفته وغير ذلك، فمن تلك الدراسات على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر:

1- **بطولة ابن القارح في رسالة الغفران**، مرسل فالح العجمي، جامعة الكويت، حوليات كلية الآداب، الحولية السابعة عشر، 1997م.
2- **تجليات المكان في رسالة الغفران**، احمد زياد محبك، التراث العربي، مجلد20، العدد 78، كانون الثاني 2000م.
3- **التفاعل الحواري في رسالة الغفران**، رسالة ماجستير، مصطفى بربارة، إشراف الدكتور احمد مسعود، جامعة السانيا – وهران، كلية الاداب واللغات، الجزائر، 2011م.
4- **جديد في رسالة الغفران**، عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، نشر دار الكتاب العربي، 1983م.
5- **رسالة الغفران قراءة سردية جديدة**، مها فاروق عبد القادر، مجلة الاستاذ، العدد 47، لسنة 2002م.
6- **رسالة الغفران للمعري دراسة تأويلية**، رسالة ماجستير، حساني شريف نجيب، إشراف الدكتور احمد بن لخضر فورار، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب، الجزائر، 2012م.
7- **فلسفة الكلمة في رسالة الغفران (دراسة تأويلية)**، بدرية عبدالله علي الفريدي، مجلة بحـوث كلية الآداب، جامعـة المنوفية، المجلـد 31، العـدد 123.1، اكتوبر 2020.

المبحث الثانـي:

المسائل النحوية

1ــ المسألة الأولى: (رفع ضمير الرفع المنفصل " أنت " بفعل مضمر)

أَروَاحٌ مُودّعٌ أم بُكُورُ ..... لكَ فاعلمْ لأيّ حالٍ تصيرُ [الخفيف]

أَروَاحٌ مُودّعٌ أم بُكُورُ، أنت .... فأنظر لأيّ حالٍ تصيرُ

في هذا الموضع يحمّل أبو العلاء المعري (ت449ه) ابن القارح نقداً لغوياً لبيت عدي بن زيد (الزركلي ، 2002، صفحة 4/220) الذي أستشهد به سيبويه (ت180ه) في كتابه إذ قال: (فأنه يزعم أن (أنت) يجوز أن يرتفع بفعل مضمر يفسره قولك: فأنظر) (المعري، 1907، صفحة 26). لماذا يستبعد المعري هذا الرأي؟ وما هي حجته في ذلك؟

أستدل سيبويه بذلك القول (فيقول : ترفع (أنت) على فعلٍ مضمر؛ لأن الذي من سببه مرفوع ، هو الاسم المضمر الذي في أنظرْ) (سيبويه، 2004، صفحة 1/141)، وعلّق السيرافي (ت368ه) على قول سيبويه فقال: (وهو يشبه زيد فاضربه ، وهو لم يجوزه الّا على إضمار سبب دخول الفاء، وقد دخلت في فانظر، فتأول ذلك على وجوه ثلاثة أراد بها تصحيح دخولها.

الأول : أن ترفع أنت بفعل مضمر يفسره المُظهر .

الثاني : أن تجعل أنت مبتدأ وتضمر خبراً والفاء جواب للجملة، كأنه قال: أنت الراحل فانظر، نحو قولك: إذا ذُكرت الشجاعة قالت الناس: أنت.

الثالث : أن تجعل أنت خبراً وتنوي المبتدأ (سيبويه، 2004، صفحة 1/140 الهامش 2).

ويعلق المرادي (ت749ه) في باب الفاء على قول عدي بن زيد، إذ يقول: (وكون أنت فاعل فعلٍ مُقدر يُفسره الظاهر، أي: فانظر انتَ، وقد أجاز الفرّاء وجماعة منهم الأعلم: دخولها في خبر المبتدأ إذا كان أمراً أو نهياً) (المرادي و (ت749هـ)، 1992م، صفحة 72/1).

وقد حمل الزجّاج (ت311ه) قول الله تعالى: ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ﴾ (سورة ص، الاية 57) على قول عدي بن زيد السابق، (ويجوز أن يكون (هذا) في موضع نصب على هذا التفسير، ويجوز أن يكون في موضع رفع، فأذا كان في موضع نصب فعلى (فليذوقوا هذا) فليذوقوه. كما قال: (وإياي فأرهبون). ومن رفع فبالأبتداء يجعل الأمر في موضع خبر الأبتداء) (الزجاج، 1988 م، صفحة 338/4).

وأما قول المعري (أنا أستبعد هذا المذهب) (المعري، 1907، صفحة 26) يفسره قول النحّاس: (ويجوز أن يكون هذا في موضع نصب بإضمار فعل، كما تقول: زيداً أضربه ، والنصب في هذا أولى)(النحاس ، 1421 هـ، صفحة 318/3). وتأسيساً على هذا القول فأنَّ أبا العلاء المعري كان على دراية بذلك الرأي فأستند عليه ليستبعد رأي سيبويه القائل برفع (أنت) بفعل مضمر على أنه فاعل. فمن خلال دراسة هكذا مسائل نستطيع أن نحدد منهجه النقدي أتجاه المدرسة البصرية وأعلامها:

أ. التعرّض لرأي سيبويه بالردّ والتعقيب: يُبرز المعري بوضوح جرأته على مناقشة إمام المدرسة البصرية، فيرفض رأيًا استقرّ عند جمهرة النحاة.

ب. الاحتكام إلى التخريج المنطقي: يرى أن تقدير فعل مقطوع عنه الدليل السياقي يُضعِف البناء، وأن نصب أنت على قطع بعمل فعل مقدَّم (مفهوم من السياق) أو جعله مبتدأ مع خبر محذوف أو متأخر أَوْلى وأسلم نحويًّا.

2ــ المسألة الثانية: (العطف على عاملين)

ولَيْسَ بمعروفٍ لنا أَنْ نَرُدَّهَا ... صِحَاحاً وَلاَ مُسْتَنكَراً أَنْ تُعَقَّرَا [الطويل]

(النابغة الجعدي، 1988، صفحة 70)

في هذا الموضع يقف المعري ليسأل النابغة الجعدي (ت65ه) عن قوله: (أتقول: ولا مستنكراً، أم مستنكرٍ؟ فيقول الجعديُّ: بل مستنكراً)(المعري، 1907، صفحة 35)، وهنا يجيب بلسان الجعدي ليردَّ على هذا التساؤل، ثم يتساءل مرةً ثانية ، ويوجه السؤال مستفهماً عن ماذا؟ لو أنشدَ منشدٌ: بالجرِ (مستنكرٍ)، ماذا تصنع به؟ فيقول: أزجره وأزبره، نطق بأمرٍ لا يخبره (المعري، 1907، صفحة 35)، وهنا يسخر من قول سيبويه فيحملهُ على الوهمِ فيقول في ذلك: (ما أرى سيبويه الّا وهم في ذلك البيت)، ويبرر وهمَ سيبويه بحجة القول أن النابغة الجعدي لم يقصد ذلك، فيقول: (إنَّ أبا ليلى أدرك جاهليةً وإسلاماً، وغذي بالفصاحة غلاماً) (المعري، 1907، صفحة 35)، وبهذا يكون الشاعر أصاب وأخطأ سيبويه.

وتأسيساً لما تقدم فإنّ أبا العلاء جمع ما في جعبته من علم الاقدمين ورمى به سيبويه في أنّ الخفض غير جائز ومردود عليه، وهو قول السيرافي (ت368ه) في شرحه لشواهد الكتاب نقلاً عن الأخفش (شمس الدين بن قايماز، 1985، صفحة 206/10): (وليس هذان البيتان على ما زعم سيبويه في الجر؛ لأنّه لا

يجوز عنده العطف على عاملين وإن لم يكن الثاني من سبب الأول) (ابو محمد السيرافي، 1974، صفحة 342/1). ويؤكد ذلك قول المبرّد في باب العطف على عاملين: (وَأما الْخَفْض فَيمْتَنع لِأَنَّك تعطف بِحرف وَاحِد على عاملين وهما الْبَاء وَلَيْسَ، فكأنك قلت زيد فِـــي الدَّار والحجرة عَمْرو فتعطف علـــى فِي والمبتدأ) (المبرد، صفحة 195/4). فكان لتلك الأقوال ومثيلاتها أثرٌ بالغ في بلورة مفاهيم مناهضه لقدسية الفكر النحوي عند الأوائل، تؤكّده على سبيل التمثيل لا الحصر مسألة (العطف على عاملين) فهو محل خلاف قديم، وأن المعري من أوائل من سجّل اعتراضًا صريحًا على التصويب السيبويهي في المتن الأدبي، مقرّرًا مبدأ أنّ صحة الرواية مقدّمة على جواز الصناعة إذا عارضها الذوق العربي.

3ــ المسألة الثالثة: (الإعمال يكون في النكرة والمعرفة)

..... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ

(المعري، 1907، صفحة 47)

كَأَنّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأسٍ يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ [الوافر]

(حسان بن ثابت، 1994 م، صفحة 18)

يتعرّض المعري فِي هذا الموضع لسيدنا حسان بن ثابت (العسقلاني، 1415 هـ بيروت، صفحة 55/2) ، ليسأله عن أشياء تدور في خلده، متحيراً وخائفاً أن يكون لما طلب غير محسنين، فيضرب عنها إكراماً للجليس (المعري، 1907، صفحة ينظر: 47)، ثم يسأله، (كيف قلت يا أبا عبد الرحمن: أيكونُ مزاجَها عَسَلٌ وماءٌ، أم مِزاجُها عسلاً وماءُ أم مِزاجُها عسَلٌ وماءٌ، على الابتداء والخبر؟) (المعري، 1907، صفحة 47).

ففي هذا الموضع حدد المعري سؤاله بثلاثة إتجاهات:

الأول: (أيكونُ مزاجَها عَسَلٌ وماءٌ)، وهنا روى (مزاجَها) بالنصب ورفع العسل، وهو وقوع الاسم نكرة والخبر معرفة وهو ضعفٌ في الكلام.

هذا ما أجازه سيبويه (الابتداء بالنكرة) مع كراهية أن يكون في ذلك لبس، فقال: (وقد يجوز في الشعر وفي ضعْفٍ من الكلام. حَمَلَهم على ذلك أنه فِعْلٌ بمنزلة ضَرَبَ، وأنّه قد يُعلَم إذا ذكرتَ زيداً وجعلته خبراً أنه صاحبُ الصَّفة على ضُعفٍ مـــن الكلام) (سيبويه، 2004، صفحة 48/1)، وهذا القول ضعيف ولكنه أجازه للشعراء ضرورةً، وعلى ذلك سار المبرّد (ت285ه) ولم يعترض على إجازة سيبويه، فقال: (وَاعْلَم أَن الشُّعَرَاء يضطرون فيجعلون الِاسْم نكرَة وَالْخَبَر معرفَة، وَإِنَّمَا حملهمْ على ذَلِك معرفتهم أَن الِاسْم وَالْخَبَر يرجعان إِلَى شَيْء وَاحِد) (المبرد، صفحة 91/4). وهو ما أكده ابن هشام الانصاري (ت761ه) بعدهم، إذ قال: (فَجعل المعرفَة الخَبَر والنكرة الِاسْم، وتأوله الْفَارِسِي على أَن انتصاب المزاج على الظَّرفِيَّة المجازية) (ابن هشام الانصاري، 1964م، صفحة 912).

أما ابن الورّاق (ت470ه) لم يرَ ضعفٌ في ذلك وعده من الحسن، إذ قال في علله: (الْعَسَل نكرَة، وَهِي اسْم (كَانَ)، والمزاج معرفَة، وَهُوَ الْخَبَر، وَإِنَّمَا حسن مثل هَذَا لِأَن الْعَسَل اسْم جنس، فتعريفه كتنكيره فِي الْمَعْنى، وقلما يُوجد فِي أشعارهم أَن يكون الْخَبَر معرفَة مَحْضَة، وَالِاسْم نكرَة مَحْضَة، لما ذَكرْنَاهُ من قبح ذَلِك) (ابن الورّاق، 1999، صفحة 252) .

والثاني: (مِزاجُها عسلاً وماءُ)، هنا يروي المعري (مزاجها) بالرفع على أعتبار اسمها معرفة، ونصب عسلاً على الخبرية وهو نكرة، وهذا قول أبي عثمان المازني الذي نقله ابن يعيش إذ قال: (وقد رواه أبو عثمان المازنيّ يكون مزاجُها عسلًا وماءُ برفع "المزاج" على أنه اسمُ "يكون" وهو معرفة، و"عسلاً" الخبر، وهو نكرة على شرط الباب. و"ماءُ" مرفوع حَمْلًا على المعنى) (ابن يعيش ، 2001، صفحة 341/4).

والثالث: (مِزاجُها عسَلٌ وماءٌ، علـــى الابتداء والخبر)، وهـــــذا قول السيرافي مـــا نصّهُ: (يجعل في (يكون) ضمير الأمر والشأن، ويرفع (مزاجها) بالابتداء، وما بعده خبره، والجملة في موضع خبر يكون، وهذان الوجهان لا يدفع جوازهما ولكن الرواية على ما انشد سيبويه، ولم يقل سيبويه إنه لا يجوز غير ما انشده، ولكنه أنشد البيت على الوصف الذي روته الرواة، وذكر وجه روايتهم) (السيرافي، 1974م، صفحة 39/1)

فمن خلال عرض أقوال العلماء الذين سبقوه نجد أنّ المعري على إطلاع واسع ودراية عميقة، فلا تخفى عليه شاردة ولا واردة في اللغة والنحو، فأن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على أحتواء المعري لكل خلافات النحو ورواياته، فيجعل من تلك العبارات والاسئلة مدخلاً ينفذ من خلاله ليجابه خصومه ويوقع بهم، وهنا يظهر تحامل المعري على النحويين ليُظهر عجزهم وأنهم ليسوا على قدر العلم الذي يدعونه.

4ـ المسألة الرابعة (عود الضمير إلى غيره)

هذا سُراقةُ للقُرْآن يَدْرُسُه ... والمرءُ عِند [الرُّشا] إنْ يَلْقَها ذِيبُ [البسيط]

(سيبويه، 2004، صفحة 67/3)

أورد المعري تساؤلاً آخر فيما يخص (الهاء) في يدرسه فقال: (وإذا رجلٌ آخرُ يقول: ادَّعيتَ عليَّ، أنَّ الهاء راجعةٌ على الدَّرسِ)، فكان الجواب باستهجانٍ واستغراب، (أفمجنونٌ أنا حتّى أعتقد ذلك) (المعري، 1907، صفحة 57).

وواضحٌ في هذا المحل أنّ المعرّي عاب على أبي علي الفارسي مسألة التأويل، فأراد بإسلوبه أن يبسّط المسألة ويهونها فقال: (يا قوم، إنَّ هذه أمورٌ هينةٌ)، فكان قوله: (فالهاء للمصدر ولا تكون للقرآن الذي تعدى إليه الفعل باللام، وقد تصحّ هذه القراءة على تقدير حذف المضاف) (أبو علي الفارسي، 1993، صفحة 241/2)، ففي هذا الموضع أعتمد المعري على آراء الاقدمين المخالفة لرأي أبا علي الفارسي، ومنها قولهم: أنّ الاصمعي ذكر (أن هذا البيت قديم، وأن أبا عمرو أنشده إياه، و (الهاء) في (يدرسه) للمصدر، تقديره: للقرآن يدرس درسا، وكني عن الدرس) (سيبويه، 2004، صفحة 67/3)، (ابو محمد السيرافي، 1974، صفحة 265/3)

وخلاصة القول: إنَّ إظهار ضعف التأويل واستعمال الأسلوب الساخر (أفمجنونٌ أنا...) هي الوسيلة التي اعتمدها المعري ليُبيّن أنّ حمل الضمير على القرآن متعسّف.

ويؤكّد المعري أنّ معيار سلامة الاستعمال هو الذوق العربي الصافي في إعادة الاعتبار للأصالة لا محض القياس النظري.

وإنَّ أبا العلاء استحضر ما في جعبته ورمى أبا علي الفارسي بنبالهِ ليظهر ضعفه وتأويله الخاطئ، ولماذا كان القوم يلومونه؟ وليثبت أن انتقاداته لبعض أعلام المدرسة البصرية كان في محله. وليبرهن أنّه لا يخضع لسلطة أبي علي أو غيره متى خالف نصًّا صريحًا أو استعمالًا متواترًا .

النتائج

في ختام كل عمل لابدَّ أن تكون هنالك حصيلك من خلال استقراء ذلك العمل، فالإبحار مع المعري في رحلاته، والنظر في أعماله والتعمق في تفكيره الفلسفي؛ فأنك تستشعر المتعة معه، فقد أوجزنا بعض النتائج التي توصل إليها البحث وكانت:

1- أعتماد المعري على ثقافته الواسعة واطلاعه على أشعار الأقدمين.
2- الآراء التي يطرحها أبي العلاء تُجسّد رؤيته النقدية العامة وهي أن قواعد النحو لا تُتلقّى بالتسليم لسلطة الأئمة، وإنما تُمحَّص بالبرهان والذوق اللغوي، حيث يتقصّد إبراز مواضع الخلاف وإعادة تقويم حجج المدرسة التقليدية.
3- الخوض في المسائل التي فيها خلاف بين العلماء وإبداء رأيه فيها.
4- أعتمد المعري أسلوب الحوار والنقاش في معالجة بعض المسائل التي أنتقدها.
5- وجّه المعري انتقادات لاذعة لأعلام المدرسة البصرية ومنهم سيبويه.
6- أبدى امتعاضه من مسألة التأويل عند بعض النحويين في الشعر وعابه على أبي علي الفارسي.
7- تبقى رسالة الغفران البحر الذي لا ينضب لكل من أراد أن يغترف منه.

المصادر

***القرآن الكريم**

***الكتب**

1- **الإصابة في تمييز الصحابة**، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1415ه.

2- **اعراب القرآن**، أبو جعفر النحاس (ت338ه)، علق عليه عبدالمنعم خليل ابراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1421ه.

3- **الأعلام**، خير الدين محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي (ت1369)، نشر دار العلم للملايين، دمشق – سوريا، ط15، 2002م.

4- **الجنى الداني في حروف المعاني**، بدرالدين حسن المرادي (ت749ه)، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1992م.

5- **الحجة للقراء السبعة**، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (ت 377هـ)، تحقيق بدر الدين قهوجي وبشير جويجابي، راجعه ودققه عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، نشر دار المأمون للتراث، دمشق وبيروت، ط2، 1993م.

6- **ديوان حسان بن ثابت**، حسان بن ثابت الانصاري (ت50 هـ)، شرحه وكتب هوامشه عبدا مهنا، نشر دار الكتب العلمية، بيرت – لبنان، ط2 ، 1994م.

7- **ديوان عدي بن زيد**، عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبار المعيبد، نشر دار الجمهورية، بغداد – العراق، ط1، 1965م.

8- **ديوان النابغة الجعدي**، قيس بن عبدالله بن جعدة، تحقيق الدكتور واضح العمر، نشر دار صادر، بيروت – لبنان، ط1، 1988م.

9- **رسالة الغفران**، أبو العلاء المعري (ت449ه)، صححها ووقف على طبعها ابراهيم يازجي، نشر مطبعة (أمين هندية) بالموسكي (شارع المهدي بالأزبكية)، القاهرة – مصر، ط1، 1907م.

10ـــ **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين احمد بن عثمان بن قايماز، نشر محموع من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الارناؤوط، نشر دار الرسالة، ط3، 1985م.

11- **شرح أبيات سيبويه**، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي (ت 385هـ)، تحقيق الدكتور محمد علي الريح هاشم، راجعه طه عبد الرءوف سعد، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة – مصـــر، ط1، 1974 م.

12ـــ **شرح كتاب سيبويه**، أبـــو سعيـــد السيرافي الحسن بـــن عبد الله بـــــن المرزبان (ت 368ه)، تحقيق أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2008 م.

13ـــ **شرح المفصل للزمخشري**، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (ت 643هـ)، قدم له أميل بديع يعقوب، نشر دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 2001م.

14ـــ **علل النحو**، محمد بن عبدالله بن العباس أبو الحسن، ابن الوراق (ت381ه)، تحقيق محمد جاسم الدرويش، نشر مكتبة الرشد، الرياض – السعودية، ط1، 1999م.

15- **الكتاب**، عمرو بـــــن عثمان بـــــن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت 180هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر، ط4، 2004م.

16- **معاني القرآن وأعرابه**، أبو أسحق الزجاج (ت311ه)، تحقيق عبدالجليل عبده شلبي، نشر عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط1، 1988م.

17- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت761ه)، تحقق الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، نشر دار الفكر، دمشق – سوريا، ط1، 1964م.

18 – **المقتضب**، محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، أبو العباس المبرد (ت285ه)، تحقيق محمد عبدالخالق عظيمة، نشر عالم الكتب، بيروت – لبنان، ط1. (د . ت).